R. Devreesse, *Le patriarcat d'Antioche, depuis la paix de l'Eglise jusqu'à la conquête arabe*, (Coll. « Etudes palestiniennes et orientales») XXIX-340 pp., Paris, Gabalda, 1945.

دوفريس — بطريركية انطاكية : منذ سلم الكنيسة الى الفتح العربي

من « مجموعة الدراسات الفلسطينية والشرقية »

باريس سنة ١٩٤٥

لم يتوفر بعد العهد البيزنطي الاول ما توفر للعهد الروماني قبله ، من ثبت دقيق مفصل عن ابرشياته ومن تولاها من الاساقفة — اللهم سوى المؤلف الشهير الذي خلفه لوكيان عن « الشرق المسيحي » — الا انه يصعب التدقيق في صحة اللوائح التي اثبتها لوكيان نظراً لان مستنداتها بعيدة وعزيزة . واذا كتاب المونسنيور دوفريس يسد هذا الفراغ ففي قسمه الثاني تاريخ المقاطعات الاكليريكية والابرشيات والكنائس مع ثبت بمن تولاها ، في ذلك « المربع الكبير » المنبسط من خليج اضاليا الى الفرات ، ومن الفرات الى عكا ، مارا بالساحل الغربي من البحر الميت . ولقد وجد المؤلف القسم الاكبر من اسانيده في المؤلفات اليونانية والسريانية ، الا انه افاد كثيراً مما اوضحته الحفريات الاثرية بحيث استطاع ان يرسم لوحة لم يُسبق اليها بعد عن مدى انتشار الطوائف المسيحية ، الارثذكسية وغيرها ، وطابعها وتاريخها — ضاماً الى ذلك الفهارس المفصلة والرسوم الجغرافية التي تسهل البحث والتفتيش .

على ان الكتاب ليس مجرد لوائح جديدة وتامة . فان فصوله السبعة الاولى «تبسط موجزاً تاريخياً عاماً للبطريركية الانطاكية منذ ان تمتعت الكنيسة بالسلم حتى توطد الاسلام» وبالرغم من ان هذه الحقبة من تاريخ الكنيسة كانت بالغة الاضطراب ومن اليسير على المؤلف ان يقودنا بثقة خلال ما اثارته بدع اريوس ونسطوريوس ويعقوب الرهاوي اذ انه قد استحكم الاصول والاسانيد استحكاماً يعز على الكثيرين ، ويرسم لنا فترات السلم التي تمتعت بها كنيسة انطاكية بين ٣٨٠ و٤٣٠ اي في زمن اجل ملافنتها امثال ديودور الترسوسي ، ويوحنا فم الذهب . واما الفصل السابع فيعرض احوال الشعب عند الغزو العربي معدداً

العوامل التي افسحت له في المجال. وكل هذا مما يهم التاريخ البيزنطي والتاريخ الكنسي في الشرق.

وللمؤلف نظريات جديدة قد احكم استنتاجها مما اتاحته الدراسات الاثرية واللغوية الحديثة — فالمؤلف يطيل البحث في الفصلين ١٣ و١٤ في «المقاطعة العربية» ومقاطعة سوريا الشرقية، وكان قد تطرق المؤلف ذاته الى هذا الموضوع في بحثين نشرتهما له مجلة Vivre et Penser، التي صدرت اثناء الحرب بدل مجلة ابحاث الكتاب المقدس (Revue Biblique). وان الفصول التي خصها بمنطقتي وادي الفرات وما بين النهرين، وتاريخ المسيحية فيهما تهم كل شرقي، مثل النظريات العامة التي قدمها تحت عنوان «العرب الفرس، والعرب الرومانيون، اي بني لخم والغساسنة» وجدير ان ننوه برأيه عن الغساسنة (ص ٢٧٧) حيث يوضح ان تقدير الحكام الروم للغساسنة لم يكن بحيث يكلف الامبراطور جوستنيان هؤلاء البدو وحدهم مهمة صد الفرس عن الحدود الصحراوية.

وجدير كذلك ان ننوه بشكه في تأويل التاريخ المحفور على قبر امرئ القيس — فالمرجح ان هذا التاريخ لا يعود الى الحساب العربي المعهود يومذاك

ر. م.

G.E. Grunebaum, *Medieval Islam*. A Study in Cultural Orientation. In-8°, VIII-362 pp., 1 carte, The University of Chicago Press, 1946.

فون كرنباوم — الاسلام في العصور الوسطى — بحث في الاتجاه الثقافي

جامعة شيكاغو سنة ١٩٤٦

هذه مجموعة محاضرات عامة القاها الاستاذ فون كرنباوم في ربيع سنة ١٩٤٥ في جامعة شيكاغو، كاد جل اهتمامه فيها ان يرسم للاسلام في اوجه لوحة واضحة ودقيقة، دون ان يحصر البحث في التاريخ، ولا في الادب ولا في الاقتصاد، بل يستعين المصادر التاريخية والادبية المعروفة ليجلو ماذا كانت الثقافة العربية يومذاك.

يقابل المؤلف بين الاسلام في العصور الوسطى وبين الغرب والشرق المسيحي وكانوا ثلاث كتل تتقاسم النفوذ في الحوض المتوسط على شكل ثابت يكاد

لا يتحور . مبيناً كيف كانوا عبارة عن حضارات ثلاث تجهل بعضها بعضاً على كونها جميعاً من جوهر واحد ذاك بان كل واحدة مكتفية بما عندها . فالاسلام يؤلف وحدة اقتصادية ويعتبر نفسه محور العالم . والامبراطورية البيزنطية تعيش على ميراث القياصرة والارثذكسية ؛ في حين كان الغرب يساوره العجب بايمانه الجديد وبقوته المتصاعدة .

ويمضي المؤلف بتفهم الاسلام فيدرسه في اصوله مفرقاً بين الحقيقة التاريخية في نطاقها الشرعي الثابت ، وبين ما انتجته تقوى الجمهور .

اما ما كان عليه المجتمع الاسلامي في ذاك الوقت فيتراءى انه النظام الطبقي المعهود في الغرب ، تعيش كل طبقة منكمشة على ذاتها ، وقيمتها ومقدرتها مستمدة من العلم والدين ، اكثر منها مما تؤديه من خدمات . على ان المؤلف يغالي نوعاً في ذلك معلقاً اهمية فائقة على كتب نظرية مستوحاة من اليونانية .

وفي الفصل الاخير ، وهو اطول ما في الكتاب وابلغه اهمية ، يحاول ان يستخلص المثل الانسانية في ذاك الوسط من خلال الاثار الادبية . واميز طرائقها تفكير متشعب الاصول والاتجاه ، وغنى بالالفاظ دون المعاني ، وغياب الشخصية .

ولعل المسلم اذاك كان يقدر الراحة والاطمئنان اكثر من فرح التطور والتقدم . ذاك انه يعيش في وسط عالم منظم ، تحددت فيه الحقوق والواجبات . ثم انه امين الى مصيره ما دام لا يخرج على ارادة الله ، واما اذا ارتكب بعض المعصيات ، فشفاعة النبي كافية .

ولعل هذه النتيجة التي وصل اليها المؤلف تعبر عن حالة بلغ اليها الاسلام في ذروته ، ولكن ذلك لم يكن شأنه في القرون الاولى من حياته .

بقي ان نقول ان هذا الكتاب يقرأ بلذة ويتيح لقارئه ان يكون فكرة عامة محببة في الاجمال عن عالم يجهله الكثيرون من الغربيين بل الشرقيين ايضاً .

ا . د .